# مظاهر التوحيد في رمضان

لفضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن غالب العمري
حفظه الله

miraath.net
ميراث الأنبياء
Miraath.Net
قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

# بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرة بعنوان:

# مظاهر التوحيد في رمضان

ألقاها فضيلة الشَّيخ محمد بن غالب العمري

-حفظه الله تعالى-

على إذاعة موقع ميراث الأنبياء يوم السَّبت الرَّابع من شهر رمضان عام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢ ]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [ النساء: ١ ]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]

أمَّا بعد، فإنَّ أصدق الكلام كتاب الله -جلَّ وعلا- وخير الهدي، هدي نبينا محمد -عليه الصَّلاة والسَّلام- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار.

أمَّا بعد:

فيسعدني أن ألتقي بهذه اللَّيلة، ليلة الخامس من رمضان، لعام أربع وثلاثين وأربعمائة وألف في هذه اللِّقاءات، عبر موقع ميراث الأنبياء -وفَّق الله القائمين عليه لما يحبّ ويرضى- أن نلتقي في أولى هذه اللِّقاءات المعلن عنها، ولقاء اليوم هو عن مظاهر التَّوحيد في رمضان.

والكلام عن التَّوحيد، وأثر هذا التَّوحيد في صيام هذا الشَّهر العظيم، يتَّضح بأمور عدّة، وقبل أن نذكر معالم التَّوحيد، أو آثار التَّوحيد ينبغي أن نبين شيئًا من فضل التَّوحيد، توحيد الله -جلَّ وعلا- وإفراده بالعبادة،

فللتَّوحيد مكانة عظيمة، وله منزلة جلَّيلة، جاء على بيان هذه المنزلة النُّصوص الكثيرة من كتاب الله -جلَّ وعلا- ومن سنة رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

فالتَّوحيد هو أول ما فطر الله -جلَّ وعلا- عليه العبد، فإنَّ الله -جلَّ وعلا- فطر النَّاس على الإسلام، وهي حقيقة التَّوحيد (( كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)) ولم يقل -عليه الصَّلاة والسَّلام- في هذا الحديث الصَّحيح أو يمسلمانِه، لأنَّ الفطرة التي فطر الله -جلَّ وعلا- النَّاس عليها هي فطرة الإسلام، وهي الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله.

وكذلك هو أول عهد أخذه الله -جلَّ وعلا- على النَّاس على بني آدم، أن يعبدوه سبحانه، وهو كذلك أول ركن من أركان الإسلام، كما جاء في حديث ابن عمر وغيره: (( بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ،وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ... )) إلى آخره.

فهو أول أركان الإسلام، لا يقوم إسلام عبد إلا بالتَّوحيد بأن ينطق بالشَّهادة، وما تتضمَّنه هذه الشَّهادة من إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة.

وكذلك التَّوحيد هو متضمِّنٌ لأوَّل أركان الإيمان، وهو الإيمان بالله -جلَّ وعلا-، لأنَّ الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- يقتضي أربعة أمور كما هو معلوم:

الإيمان بوجوده -سبحانه-، والإيمان بربوبيَّتِه وبألوهيته، أي أنَّه المُستَحِق للعبادة الذي يجب أن يُوَحَّد -سبحانه وتعالى-، وبأسمائه وصفاته.

وكذلك التَّوحيد هو أوَّل واجبٍ على العبيد، أوَّل واجب على العبيد أن يوَحِّدوا الله -جلَّ وعلا-، ولذا كان النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُرسِل أصحابه، ويوصيهم -عليه الصَّلاة والسَّلام- بأنَّ يكون أوَّل ما يبدءون به هو الدَّعوة إلى توحيد الله -جلَّ وعلا- كما جاء في حديث ابن عبَّاس في الصَّحيح حينما أرسل رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- معاذًا إلى اليمن قال:

((فَلْيَكُن أوَّل مَا تَدْعُوهُم إِلَيْه شَهَادَة أنّ لا إِلَهَ إِلَّا الله))، وفي رواية ((إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله))،وهو كذلك أوَّل دعوة الرُّسل، فما من رسولٍ يرسَل إلى قومه إلَّا يقول لهم:

﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩ ]، عبادة الله، وإفراده بالعبادة هو توحيد؛

وأوَّل أمرٍ في كتاب الله -جلَّ وعلا- يمرُّ على القارئ إذا قرأه من أوَّلِه هو قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١]،

﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] وَحِّدُوه بالعبادة، فلا تصرفوا شيئًا من العبادة لغير الله -جلَّ وعلا-، ولذا كان مَن تَمَسَّك بالتَّوحيد له من الفضائل الشَّيء الكثير في الدُّنيا وفي الآخرة، فصاحب التَّوحيد مُحَرَّمٌ على النَّار، فلا يُخَلَّد في نار جهنَّم حتَّى لو دخلها دخولًا أوَّليًّا يُحاسَب على ذنوبه، ويُعاقَب على ما اقترفه فهو مع ذلك ينجو بتوحيده،

ولذا قال -عليه الصَّلاة والسَّلام- كما في الصَّحيحين: ((فإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ))،

جاء في حديث معاذ كذلك في الصَّحيحين: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ))، فهي تُنجي، أمر التَّوحيد، وكلمة التَّوحيد تنجي صاحبها من العذاب، إذا عمل بمقتضاها، من الإخلاص لله -جلَّ وعلا-، وعبادتِهِ -سبحانه-، ونبذِ الشِّرك، وما يخدُشُ في توحيده لله -جلَّ وعلا- فإنَّها منجيةٌ له.

كذلك بتوحيد الله -جلَّ وعلا- يُكَفِّرُ الله -سبحانه وتعالى- الذُّنوب، كما جاء في الحديث الذي في السُّنَن، وهو صحيح قولُهُ -عليه الصَّلاة والسَّلام-: ((يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ))،

فهذا يدل على فضل التَّوحيد، ذلك أنَّ صاحب الذُّنوب والمعاصي التي لا يتوب منها في الدُّنيا، هو يوم القيامة تحت مشيئة الله -جلَّ وعلا- إن شاء الله غفر له، وعفا عنه، وإن شاء عذَّبه، وإن عَذَّبَهُ لم يُخَلِّده في النَّار لما عنده من التَّوحيد.

كذلك الأمن التَّام لأهل التَّوحيد في الدُّنيا وفي الآخرة، وما يحصل من ضعفٍ في أمن العباد، وما يحصل من بلايا، وما يحصل من فِتَن، فهو بلا شك من أسبابه العظيمة ترك التَّوحيد، والتَّفريط في أمر الله -جلَّ وعلا-،

قال الله –جلَّ وعلا–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [ الأنعام: ٨٢]، جاء في السُّنة تفسير الظلم بأنه الشِّرك ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

إذًا نعمة الأمن، ونعمة الهداية، والتَّوفيق لأهل التَّوحيد الذين أفردوا الله –جلّ وعلا– بالعبادة.

وكذلك أسعد النَّاس بشفاعته –عليه الصَّلاة والسَّلام– نسأل الله أن يرزقنا هذه الشَّفاعة، أسعد النَّاس بشفاعته –عليه الصَّلاة والسَّلام– هم أهل التَّوحيد كما جاء في الصَّحيح من حديث أبي هريرة: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)).

ولعظم أمر التَّوحيد فإن الإنسان لا تقبل منه العبادة، ولا يقبل منه العمل، إلا إذا كان موحدًا لله – جل وعلا– فالتَّوحيد شرط في قبول الأعمال، والمشرك أو الكافر لا يُقبل منه عمل، قد يُجازى عليه في الدُّنيا، ولكنه ليس له في الآخرة من نصيب.

بعد ذكر هذه الجمل في بعض فضائل التَّوحيد، وجزاء أهله المتمسِّكين به في الآخرة، مع ما يحصل من نعيم لهم في الدُّنيا، وراحة بال، فإنَّهم العابدون لله، المتَّبعون لرسول –عليه الصَّلاة والسَّلام– وهم أهل الله، وأهل ولاية الله –سبحانه وتعالى–،

فالتَّوحيد في الحقيقة لا يفارق العبد، في كل عمل يعمله، فهو إمَّا قائم بالتَّوحيد، وهو أصل العبادة، وإفراد العبادة لله –جلَّ وعلا– ونفي الشِّرك عن الله – سبحانه وتعالى– بقوله أو بفعله، أو قائم بمكملات التَّوحيد الواجبة، أو بمكمِّلات التَّوحيد

المستحبَّة، إذا استشعر العبد هذا الأمر فإنه لن يكون منه عمل، ولن يَقدُم على عمل إلا وهو يستشعر أمر التَّوحيد في هذا العمل؛ لأنه ما قام به إلا طاعة لله – جلّ وعلا- وتوحيدًا له، فقول الله –جلَّ وعلا- هو المقدَّم، وأمره هو المتَّبع – جلّ وعلا- ومن أمر الله –جلّ وعلا- المتّبع سنَّة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم-.

إذًا فالصِّيام، صيام رمضان، عبادة من العبادات التي فرضها الله – جلّ وعلا – على عباده، كما قال ربنا – سبحانه وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة: ١٨٣] فهي عبادة، ولذا يمكننا أن نذكر معالم توحيد، أو من مظاهر التَّوحيد في هذا الشَّهر الفضيل، شهر رمضان من جهات مختلفة:

أولًا: أنّ الصَّوم عبادة، وبقيام صاحبها بها على وجهها الصَّحيح هذا دليل توحيده لله –جلّ وعلا- فالصَّوم عبادة من العبادات تكون خالصة لله –جلّ وعلا – وعلى سنن الرَّسول –صلَّى الله عليه وسلَّم- إذ العمل المتقرَّب به إلى الله – جلّ وعلا- كما هو معلوم، لابد فيه من شرطين:

- إخلاصه لله – جلَّ وعلا-،
- ومتابعته الرَّسول – صلَّى الله عليه وسلَّم- في ذلك العمل.

والصِّيام من العبادات التي يتقرَّب بها إلى الله –جلّ وعلا- ولذا الله –جلّ وعلا- بيّنَ أن هذه العبادة له - سبحانه- مع أنّ كل العبادات له، لكن سيأتي بيان سر

الأمر في قوله –عليه الصَّلاة والسَّلام– في الحديث القدسي عن ربه –جلّ وعلا– أنَّه قال: عن العبد ترك طعامه وشرابه شهوته وقال : (( الصَّوم لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ )).

فالصَّوم عبادة من العبادات، وكل العبادات لله –جلّ وعلا– لكن قوله –جلّ وعلا–: ( إِلا الصَّوْم فإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))، مع بيان ما في الصَّوم من فضيلة، دلّ عليها هذا الحديث، كما قال ابن عبد البَر: " كَفَى بِقَوْلِه إِلا الصَّوْم فإِنَّهُ لِي فَضْلًا عَلى صَاحِبِه عَلى سَائِرِ العِبَادَاتِ "

لكن قوله ـ جلَّ وعلا ـ في الحديث القدسي ((إلاَّ الصَّومَ فإِنَّه لِي)) مع كون بقية العبادات له ـ جلَّ وعلا ـ ذكر الحافظ ابن الحجر أقوالًا عدة في معنى قوله – جلَّ وعلا – في الحديث القدسي ((فَإِنَّهُ لِي ))

- فقيل لأنه لا يقع فيه الرِّياء، فيكون خالصًا لله ـ جلَّ وعلا ـ لأنَّ الإنسان ما من عبادة من العبادات البدنية، أوالعبادات المالية، أو نحو ذلك إلا ويظهر الرِّياء في صاحبها بخلاف الصَّوم، وهذا قد جاء عن جمع من السَّلف، أن الصَّوم لا يظهر فيه الرِّياء، لأن الإنسان لا يظهر منه حالة الصِّيام، بخلاف الصَّلاة، وبخلاف الزَّكاة ونحو ذلك.
- وقيل معناه أن الله ـ جلَّ وعلا ـ انفرد بعلم مقدار الثَّواب، وتضعيف الحسنات، كما هو معلوم أنَّ الحسنة تتضاعف إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلا الصَّوم فإنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ هو الذي يجازي به ـ سبحانه ـ
- وقيل إنَّ هذه ما من عبادة إلا وقد جاءت ذكر ثوابها، ولكن هذه العبادة لله ـ جلَّ وعلا ـ هو الذي يعطي الثَّواب كما يشاء – سبحانه وتعالى –.

إذًا هذه العبادة يظهر فيها توحيد الله ـ جلَّ وعلا ـ من إخلاص العبد لله ـ سبحانه وتعالى ـ بالقيام بها وتوحيده – جلَّ وعلا – في ذلك، وهذه المنزلة، وهي منزلة الصِّيام وأنَّ الله – جلَّ وعلا – تولى المضاعفة الكثيرة للعبد بالحسنات لصيامه، ذلك لأنَّ منزلة الصِّيام منزلة عظيمة، وهي من أجَلِّ العبادات، يقول ابن القيِّم – رحمه الله – : " ومَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّه صَبَّرَ النَّفسَ، ومَنْعِهَا من شَهَواتِها، كمَا في الحَدِيث: (( يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي)) قال: وَلِهذا قَالَ النَّبي ـ صلَّى الله علَيه وسَلَّم ـ لِمَن سَأَلَه عَن أَفْضَل الأَعْمَال: ((عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا عَدْلَ لَهُ)) وَلما كان الصَّبر حبْسُ النَّفس عَن إِجَابَة دَاعِي الهَوى، وكَان هَذا حَقِيقَة الصَّوْم، فَإِنَّه حَبْس النَّفس عَن إِجَابَة دَاعِي شَهْوَة الطَّعَام، والشَّرَابِ والجِمَاع، فُسِّر الصَّبْر في قوله تعالى -: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ١٥٣] أَنَّه الصَّوْم، وَهَذا قَوْلُ جَمْع من السَّلَف لِقَولِ الله – جلَّ وَعَلا – : ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ١٥٣] أَنَّ المُرَاد بِالصَّبْر هُنا هُو الصَّوْم" انتهى كلام ابن القيم.

كذلك من مظاهر التَّوحيد لله ـ جل وعلا ـ إفراده بالدُّعاء، فمنزلة الدُّعاء في باب التَّوحيد منزلة عظيمة تدل على ذلك قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)) مع أن العبادة تتنوع، ولها صور كثيرة، لكن هذا يدل على منزلة الدُّعاء، وعظيم مكانته، والله – جلَّ وعلا – وعد عباده باستجابة الدُّعاء، سواء كان هذا الدُّعاء، دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، فالدُّعاء بنوعيه لا يستحقه إلا الله – جلَّ وعلا – فهو الذي وعد عبادة بالاستجابة، وإعطاء الأجر على ذلك، وهو – سبحانه وتعالى – الكريم الوهاب قال ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠ ] وقال ربكم ادعوني وهو الغني – سبحانه – ومع ذلك طلب من عباده أن يدعوه، وهو الكريم المتفضِّل – جلَّ وعلا –،

وقال – جلَّ وعلا –: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦ ]

ومن يُجيب الإنسان إذا ضاقت عليه السُّبل، واضطرَّته الأمور إلى مضايق الأحوال؟ ومن يجيب المضطَّر إذا احتاج إلى تفريج الكُرب، وانجلاء الهموم والغموم سوى الله – جلَّ وعلا – ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [ النمل: ٦٢ ]

الدُّعاء منزلته عظيمة، وهو من أبواب التَّوحيد العظيمة، التي يُفرد الله – جلَّ وعلا – بها بالعبادة، إذا كان في رمضان، هذا المظهر يتبين واضحًا جليًا في مواطن، منها ما ينفرد أو ما دل عليه الدَّليل مما يختصُّ بشهر رمضان أو بالصِّيام، ومنها ما هو على وجه العموم، فما كان على وجه العموم: كأذكار الصَّباح والمساء، وأدبار الصَّلوات، وما يقوله الإنسان عند صحوه، وعند نومته ونحو ذلك، ومنه ما هو مختصّ بالصِّيام سواءً في رمضان، أو في غير رمضان، من ذلك الدُّعاء حال الإفطار، ودعاء القنوت، وفي كل هذه الأذكار، وهذه الأدعية إقامةٌ لتوحيد الله – جلَّ وعلا – وإفرادٌ الله – سبحانه وتعالى – بالتَّوجه والقصد.

ولذا جاء في الحديث: (( ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ : دَعْوَةُ الصَّائِمِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ))، دعوة الصائم مستجابة بنصّ هذا الحديث، والصَّائم في

دعوته لله – جلَّ وعلا – هو مفردٌ لله – سبحانه وتعالى – موحِّدٌ له – جلَّ وعلا – في عبادة الدُّعاء التي لا يجوز صرفها إلا لله – سبحانه وتعالى – الذي هو مستحقها.

كذلك من مظاهر توحيد الله – جلَّ وعلا – في هذا الشَّهر الفضيل، الشَّهر المبارك، شهر رمضان أمر متابعة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –، وهذا بلا شك من توحيد الله – جلَّ وعلا– فإن الله أمر بطاعته، وطاعة رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –، بل جعل بعض أهل العلم، متابعة النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وإفراده بهذه المتابعة من أقسام التَّوحيد، كما هو تقرير ابن القيم – رحمه الله – وغيره من أهل العلم سمُّوا ذلك "توحيد المُرسَل"، وقسموا التَّوحيد إلى قسمين:

- توحيد المُرسِل
- توحيد المُرسَل

ومتابعة الرَّسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – في رمضان تتضح بمتابعته – عليه الصَّلاة والسَّلام – في القيام بالواجبات، السُّنن المستحبات المتعلقة بهذا الشَّهر المبارك.

وحينما نتكلم عن التَّوحيد، فإن مما يتضمن الكلام عن التَّوحيد ما يكون من التَّوحيد، أو القيام بالأعمال التي هي من كمال التَّوحيد الواجب، ومن كماله المستحب،

فمن السُّنن التي يحرص عليها العبد في رمضان ما جاء عن النَّبي – عليه الصَّلاة والسَّلام – من الحرص على السَّحور والتَّأخير فيه، ويدل لذلك قوله – عليه الصَّلاة

والسَّلام –: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ))، ومن ذلك كذلك تعجيل الفِطر، والإفطار على رطبات، كما أن السَّحور يكون على تمرات، ومن ذلك الاجتهاد في أمر القرآن، والعبادة، ولاسيّما في العشر الأخيرة منه.

فهذه جملة مختصرة من الكلام عن مظاهر التَّوحيد، وعلى هذا يعمّ الكلام فعل الطاعات الواجبة، وترك المعاصي، ليسلم للإنسان صومه، وقيامه بهذه الفريضة، فإنّ حال بعض النَّاس إنّما كلّف نفسه الجوع والعطش، ولم يحرص على أن يجنيَ من هذا الصِّيام مغفرة الذَّنب، وقبول الله –جلَّ وعلا– لهذا الصَّوم، فإنّ الصَّوم له تأثيرٌ عجيب يستفيد منه العبد في صلاح نفسه، وفي استقامتها على شرع الله –جلَّ وعلا– ولذا يقول ابن القيم –رحمه الله– :

" وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ" انتهى كلامه –رحمه الله–.

ولذا كان الواجب على العبد أن يتجنّب أمر المعاصي التي تُنقص من توحيده، وتُنقص من إيمانه، ولذا قال جابر–رضي الله عنه–: "إذَا صُمْتَ فليصُمْ سَمعُكَ،ولِسَانُك عنَ الكذِبِ والمَحارمِ،ودَعْ أذَى الجَار، وليكن عَليكَ وَقارٌ وسَكينةٌ يَوْمَ صَوْمِك، ولا تجعَلْ يومَ صومِك ويومَ فطرِك سواء".

وجاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه قال: " الْغِيبَةُ تَخْرِقُ الصَّوْمَ وَالِاسْتِغْفَارُ يُرَقِّعُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَجِيءَ بِصَوْمٍ مُرَقَّعٍ فَلْيَفْعَلْ " ،

يقول ابن رجب –رحمه الله– مُعلِّقًا على هذا الأثر، كما في كتابه لطائف المعارف قال:

"فَصِيَامُنَا هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى اِسْتِغْفار نَافِع وَعَمَل صَالِح لَه شَافِع، كَم نَخْرِقُ صِيَامَنا بِسِهَام الْكَلاَم ثُمّ نُرَقِّعُهُ، وَقَد اِتَّسَعَ الْخَرْق عَلَى الرَّاقع، وَالْمَقْصُود أَنّ مِن أَرَاد الصَّوْم الْحَقِيقِيّ، فليحفظ الرَّأْس وَمَا حَوَى، وَالْبَطْن وَمَا وَعَى، وَيَذْكُر الْمَوْت وَالْبِلَى، وَيُرِيد الْآخِرَة فَيَتْرُك زِينَة الدُّنْيا، فَهَذَا عِيد فِطْرِهِ يَوْم لِقَاء رَبِّهِ، وَفَرَحِهِ بِرُؤْيَتِه"

انتهى كلامه –رحمه الله–.

فالعبد يحرص على أن يظهر توحيده لله –جلَّ وعلا– بفعل ما أمر الله –جلَّ وعلا– به من إفراد العبادة بالقيام بواجباتها، بمستحباتها، بترك ما يُنقص هذه العبادة، أو ما يُذهِب هذه العبادة بكلِّيتها.

ومن أعظم ما يحرص عليه في هذا الشَّهر: أمر القرآن الذي ما من آية فيه إلا وتدلُّ على توحيد الله – جلَّ وعلا– كما ذكر ذلك العلماء، منهم ابن القيم –رحمه الله– ، ويشمل العناية بالقرآن، العناية بتلاوته، وبتفسيره، وبمعرفة ما تضمنه من أحكام وأسرار، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام – ابن تيمية– في بيان معنى تعلُّم القرآن والحرص عليه، قال:

"وَمِن ذَلِك تَعْلِيم حُروفِهِ وَمَعَانِيهِ جَمِيعًا، بَل تَعَلُّم مَعَانِيهِ هُو الْمَقْصُود الْأَوَّل

بِتَعْلِيم حُروفِه، وَذَلِك هُو الَّذِي يَزِيد الْإِيمَان، كَمَا قَال جُنْدُب بن عَبْد الله وَعَبْد الله بْن عُمُر وَغَيْرِهُمَا :تَعَلَّمْنَا الْإِيمَان ثُمّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآن، فازددنا إيمَانًا، وَإِنَّكُم تَتَعَلَّمُون ا لْقُرْآن ثُمّ تُتَعَلَّمُون الْإِيمَان".

ويقول ابن القيم رحمه الله: "وَتَعَلُّمُ الْقُرْآن وَتَعْلِيمَهُ يَتَنَاوَلُ-: تَعَلُّم حُروفِه وَتَعْلِيمهَا،وَتَعَلُّم مَعَانِيهِ، وَتَعْلِيمهَا، وَهُو أَشْرَف قِسْمَي عِلْمِه وَتَعْلِيمِه، فَإِنّ الْمَعْنَى هُو الْمَقْصُود" .

إذًا، ليس فقط الحرص على القرآن مجرَّد التِّلاوة، مع ما في ذلك من الفضائل العظيمة، الفاضلة، والمعروفة في نصوص الشَّرعية، وإنَّما المقصود أيضًا النَّظر في تفسيره وفي معاني هذهِ الآيات، وكذلك معرفة الأحكام الشَّرعية التي جاءت في كتاب الله -جلَّ وعلا-.

كذلك ممَّا يتعلق بأمر التَّوحيد ماينبغي على العبد من الاستفادة من أمر الصِّيام، فإن من أجلَّ ما يستفيد منه العبد تحقُّق التَّقوى، تقوى الله -جلَّ وعلا- كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

فهو وسيلة لتقوى الله -جلَّ وعلا-، والتَّقوى كما هو معروف، ومشهور من قول طلق بن حبيب: " هي طَاعَةُ اللهِ عَلَى نَورٍ مِن اللهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ، وتَركُ مَعْصِيَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِن اللهِ تَخَشى عِقَابَ اللهِ"

إذًا هي فعل الطَّاعات واجتناب المعاصي، وهل رأس التَّقوى إلا توحيد الله -جلَّ وعلا-، وإفراده بالعبادة.

كذلك من المقاصد العظيمة تزكية النَّفس، قال -جلَّ وعلا-: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] فهذا الشَّهر من أكثر الأشهر عون للعبد على تزكية نفسه، ذلك لما فيه من التَّهيئة على ذلك، منها إقبال القلوب على القرآن، والحرص على الصَّلاة في أوقاتها ومع جماعة المسلمين، والصِّيام لما فيه من تضيِّق على سبل الشَّيطان كما جاء في الحديث: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ)) وهو شهر تفتَّح فيهِ أبواب الجنَّة، وتغلَّق فيه أبواب النَّار، وتصفَّد الشَّياطين كما هو الحديث في الصَّحيحين.

إذًا لا بد أن يعلم العبد أن بقيامه بما أمره -جلَّ وعلا- بهِ من أمر العبادة من بشروطها، وواجباتها، قائمًا بذلك بتوحيد الله -سبحانه وتعالى- فيستشعر توحيد الله -جلَّ وعلا- بأنواع التَّوحيد الثَّلاثة، بتوحيد الله -جلَّ وعلا- في ربوبيته، وأنَّه الخالق، المدبِّر، المتصرِّف، الذي خلق العبد، ويسَّر له سبل الهداية، وطرق القيام بالواجبات، وهيَّأ له من الأسباب ما استطاع بذلك أن يقيم العبادة لله -جلَّ وعلا-، خلق الله -جلَّ وعلا- حوله الأشياء المعينة له، المعينة على العبد بالقيام بأمر العبادة، فهذا من إيمانهِ بتوحيد الله -جلَّ وعلا- في ربوبيته، كذلك يستشعر أثر توحيد الأسماء والصِّفات في حياته، في صيامه، في قيامه بهذهِ الشَّعيرة العظيمة، وهي شعيرة الصِّيام، فهو سبحانه الغفور التي تطلب منه المغفرة، وهو الحكيم الذي له الحكم والحكمة البالغة فيما قدَّر وقضى، وهو سبحانه التَّواب يتوب على من يشاء من عباده، وهو الجبَّار له العظمة،

والقوة، والجبروت فتعرف الأسماء، وما دلَّت عليه من صفات، وتتقرب إلى الله -جلَّ وعلا -بمقتضى هذهِ الأسماء، وبمقتضى هذهِ الصِّفات.

كذلك توحيد الله – جلَّ وعلا- في ألوهيته، فلا يصرف العبد عبادة من العبادات إلا لمستحقِّها -سبحانه وتعالى- فهو المستحقّ للعبادة، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١]

وهو المستحقّ لإفراده -سبحانه وتعالى- بأن تصرف له كل العبادات، كما أنه -جلَّ وعلا- هو الخالق، وهو المدبِّر، وهو المتصرِّف في الكون، فيجب على العبد أن يوحِّد الله -جلَّ وعلا- في أقوالهِ، وفي أفعاله في كل أمر العبادة.

والعبادة كما هو معلوم: "اسم جامع لكل مايحبُّه الله ويرضاه"، فكل أمر يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظَّاهرة والباطنة فيجب توحيد الله -جلَّ وعلا- بها، وألا تُصرف العبادة لغيره -جلَّ وعلا- فهو المستحق لها سبحانه، والعبد إذا فرَّط في هذا الباب، فإنه يفرِّط في أمر عظيم، وفي باب جليل، فكان الاهتمام بأمر التَّوحيد هو اهتمام بأحسن الحسنات، كما أن الحرص على منابذة ضده وهو الشِّرك هو الحرص على منابذة أسوأ السَّيئات، فليس هناك أسوأ من الكفر بالله، والشِّرك به، وليس هناك أحسن من توحيد الله – جلَّ وعلا- إفراد الله – جلَّ وعلا- بالعبادة والحرص على قبول هذهِ العبادة بتحقيق الشَّرطين العظيمين: وهو الإخلاص لله -جلَّ وعلا-، والمتابعة للنَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

**هذهِ جملة مما يتعلَّق بأمر التَّوحيد وبعض معالمهِ في هذا الشَّهر الفضيل، أسأل الله -جلَّ وعلا- أن يتقبل منا ومنكم صالح أعمالنا، وأن يتقبل الصِّيام والقيام، وأن يغفر لنا الذُّنوب والآثام، وأن يختم لنا -جلَّ وعلا- بالصَّالحات من أعمالنا، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا